ألف حكاية وحكاية (٧)

جحا و اللاشىء

وحكايات أخرى
يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
- الفجالة - القاهرة

عقابٌ من نوعِ الذَّنْب

فى العصرِ الذى كانَ فيه أباطرةُ الرومانِ يُلقُونَ بالخارجينَ على القانونِ إلى الأسود، قدَّم إمبراطورٌ منهم مشهدًا فريدًا من نوعِه، لم تشهدْ مثلهُ ساحاتُ المصارعةِ مع الوحوشِ، التى تتوسَّطُ المدرجاتِ الرومانيةَ الضخمة.

فقد غضبَ ذلك الإمبراطورُ الذى عاشَ فى القرنِ الثالثِ بعدَ الميلادِ، عندما علمَ من زوجتِهِ أنَّ صائغًا باعَ لها مجوهراتٍ زائفةً، فقرَّرَ أن يجعلَ من ذلك الصائغِ عبرةً لكلِّ تاجرٍ غيرِ شريفٍ.

لقد دفعَ الجنودُ الصائغَ إلى وسطِ ساحةِ المصارعةِ، وتركوه شِبْهَ ميتٍ من شِدَّةِ الذعرِ أمامَ قفصٍ كبيرٍ من أقفاصِ الوحوشِ المفترسةِ، وبداخِلِه صندوقٌ مغلقٌ من كلِّ جوانِبِه.

واشتدَّتِ الإثارةُ فى نفوسِ المتفرجينَ، وهم يراقبونَ الصائغَ يرتجفُ فى انتظارِ ما سيحدثُ.

ثم فتحَ الجنودُ بابَ القفصِ، وخرجَتْ من الصندوقِ دجاجةٌ مذعورةٌ تجرى !

وكم كانَتْ دهشةُ الجمهورِ وذهولُه عندما سمعوا المنادِىَ يُعْلِنُ رسالةَ الإمبراطورِ التى يقولُ فيها:

"لقد ارتكبَ هذا الصائغُ الغشَّ والخداعَ، فعاقبْناهُ بنفسِ الطريقةِ."

وفقدَ الصائغُ الوعْيَ، وسقطَ على أرضِ الساحةِ بغيرِ حركةٍ، وحملوهُ إلى منزلهِ بينَ الحياةِ والموتِ. ولعلّهُ كان الوحيدَ الذى غادرَ ساحةَ مصارعةِ الوحوشِ حيًا.



خيرُ صديقٍ للإنسان

فى إحدى اللَّيالى المظلمةِ، كنتُ عائدًا إلى منزلى، وعندما سمعْتُ نُباحَ كلبٍ يُشْبِهُ الأنينَ، غيَّرْتُ طريقى نحو هذا الصَّوْتِ المستغيثِ، فرأيْتُ رجلاً وكلبًا يقفانِ وسطَ الطريقِ.

وسألْتُ الرَّجلَ عمَّا حدثَ، فأجابَ:

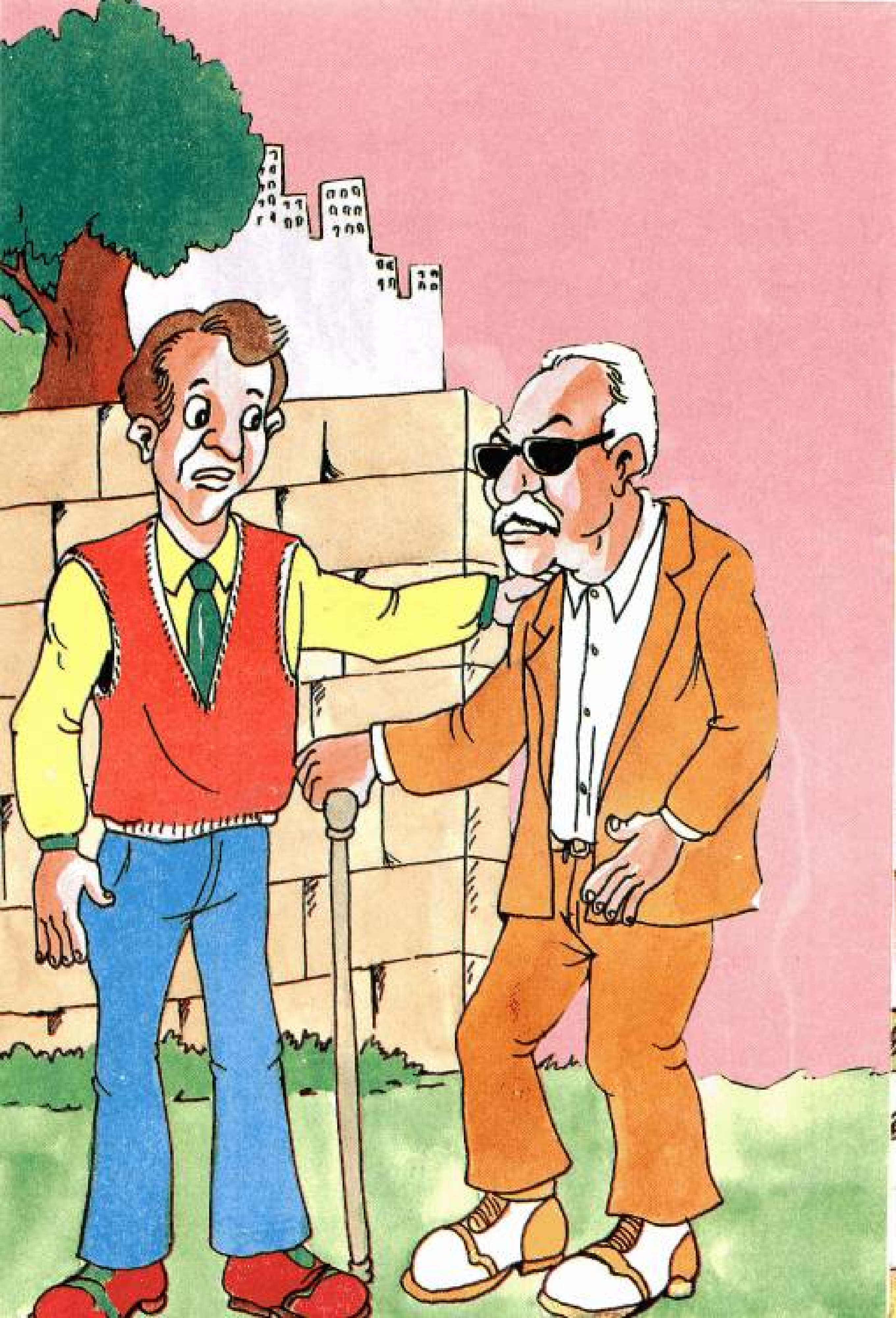
"إنَّنى أعمَى وقدْ ضللْتُ الطَّريقَ. أرجو أن تتفضَّلَ وتُرْشِدَنى إلى طريقى."

وتوقَّفَ الكلبُ فى تلكَ الأثناءِ عن النباحِ، ووقفَ بجانبِنا مُترقِّبًا.

وبعدَ أن أرشدتُ الرَّجلَ، ووصفْتُ له الطَّريقَ، واستأنفَ سيرَهُ، رأيْتُ الكلبَ يجرى فى الاتِّجاهِ العكسىِّ، وقد بدَتْ عليه علاماتُ الارتياحِ.

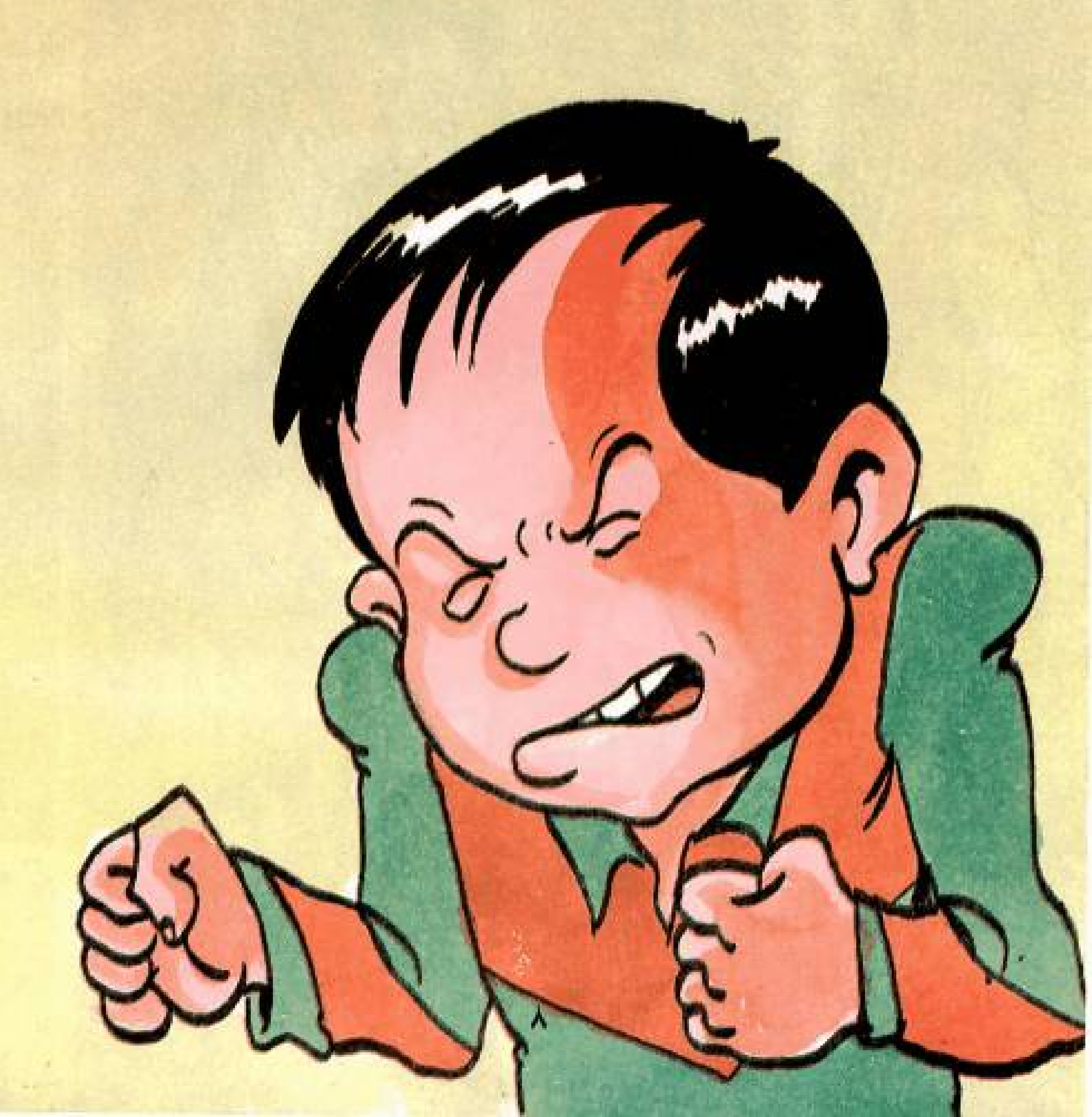
وأدركْتُ أنَّ الكلبَ أحسَّ بالورطةِ التى كانَ يُعانيها الرَّجلُ الأعمَى، فطلبَ لهُ النَّجدةَ، مع أنَّه لم يكنْ مُصاحِبًا له !!





١٣ عضلة

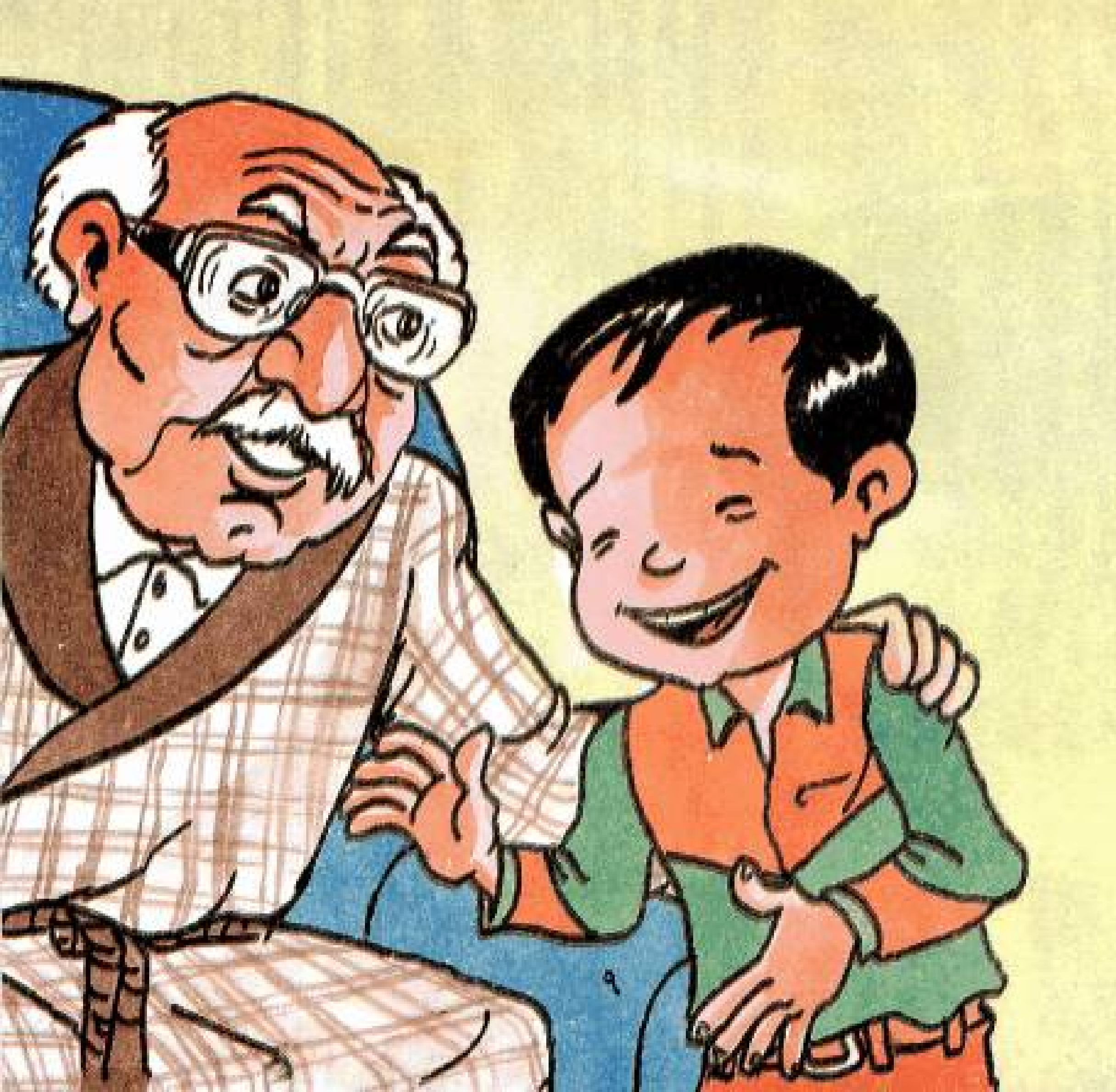
اعتادَ عادل الصغيرُ أنْ يُظْهِرَ غضبَهُ مِنْ أشياءَ كثيرةٍ. وكان يُعَبِّرُ عن غضبِهِ بأنْ يُقَطِّبَ وجْهَه، فتظهرَ على ملامحِهِ تكشيرةٌ قاسيةٌ، تعلنُ للعالم كُلِّه أنَّه يحتجُّ على شيءٍ ما.



وذاتَ يومٍ، جاء جَدُّ عادل لزيارةِ الأسرةِ، ولاحظ كيفَ يرسمُ عادل على وجهِهِ علاماتِ الغضبِ بصفةٍ مستمرَّةٍ، فاستدعاهُ إليهِ، وقالَ لهُ:

"لكي تُقطِّبَ وجهَكَ أنتَ تحتاجُ لتحريكِ (١٣) عضلة، ولكن لكي تبتسمَ تحتاجُ إلى عضلتَيْنِ فقط. فلماذا تُرْهِقُ نفسَكَ ؟"

وأصبحَ عادل يتذكَّرُ هذهِ الكلماتِ كلَّما حاولَ أن يرسمَ على وجهِهِ علاماتِ الغضبِ، وسرعانَ ما يبتسمُ !



قِطَطٌ وفِئْران

تَحكِى الفئرانُ أنَّهُ، منذُ زمنٍ بعيدٍ، عاد فأرٌ صغيرٌ إلى البيتِ فى وقتٍ متأخرٍ جداً من الليلِ، وقالَ لبقيةِ الفئرانِ:

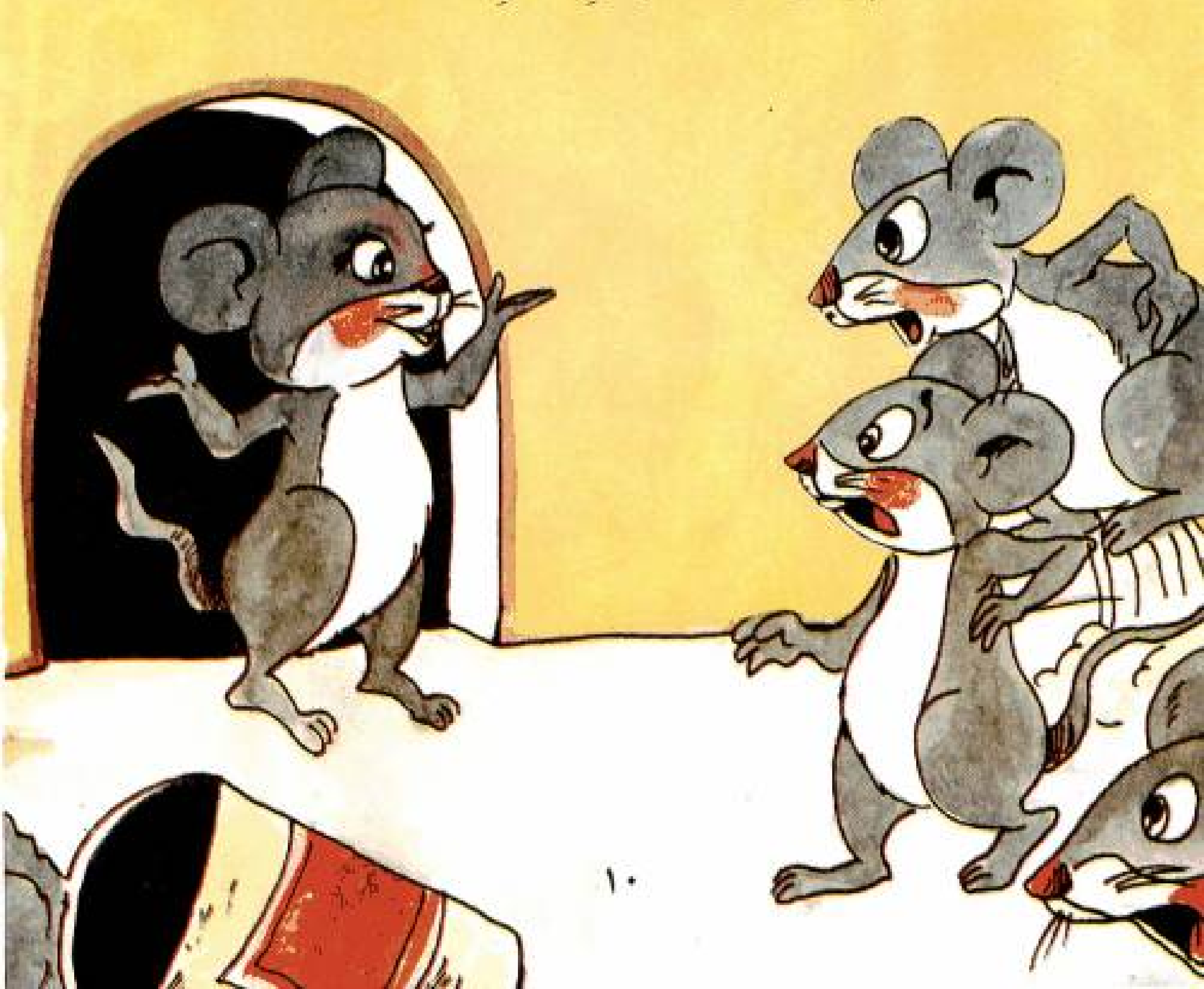
"لقَدِ اصطدمْتُ الآنَ بقطةِ الجيرانِ !"

صاحتِ الفئرانُ فى اضطرابٍ:

"هَيَّا .. أخبِرْنا بما حَدَثَ."

قالَ الفأرُ الصغيرُ:

"لقد اصطدمَ رأسُ كلٍّ منَّا برأسِ الآخرِ !"



قالَتِ الفئرانُ وقد نَفِدَ صبرُها:

"ما أسوأَ هذا الحادثَ ! أخبِرْنا ماذا حدثَ."

قالَ الفأرُ الصغيرُ وهو يتنهَّدُ، وقد بَدَتْ فى عينَيْهِ نظرةٌ حالمةٌ:

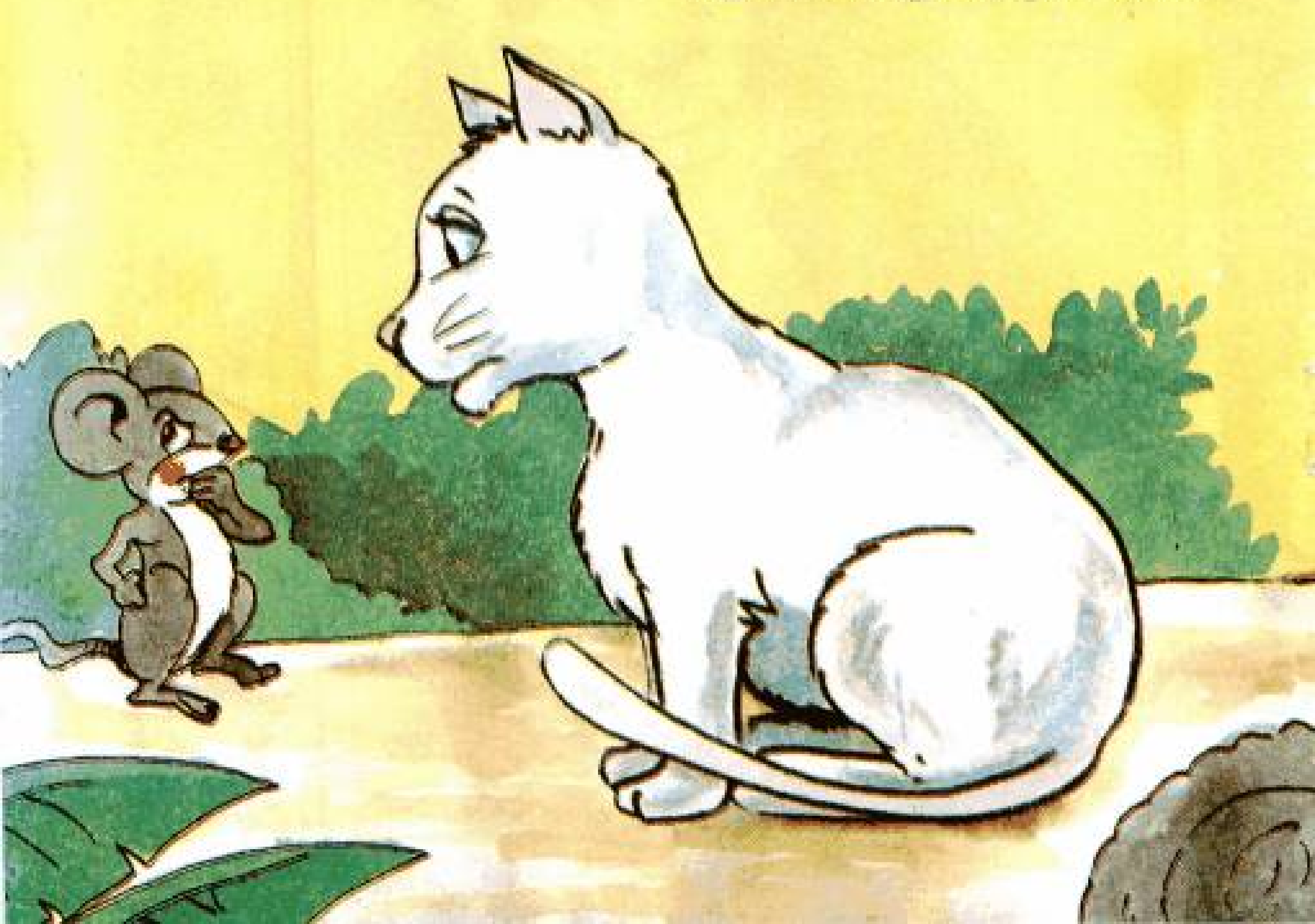
"يمكنكم أن تتأكَّدوا من رَوْعةِ هذه الليلةِ .. السحبُ ترصِّعُ السماءَ، والنجومُ تلمعُ .. وهناكَ قمرٌ جميلٌ، ونسماتٌ عليلةٌ .. كنْتُ أحسُّ بالسعادةِ."

قالَتِ الفئرانُ تستعجلُ:

"حسنًا ماذا حدثَ ؟! أخبِرْنا بسرعةٍ."

هنا ختمَ الفأرُ الصغيرُ قصتَهُ فى حماسٍ:

"كنتُ سعيدًا حتى إننى لم ألمسِ القطةَ أبدًا. نحن نعيشُ، فلماذا لا نتركُها هى أيضًا تعيشُ ؟!"



صاحتْ بقيةُ الفئرانِ:

"حقًا .. ما أروعَ هذا !! نحن أيضًا لن نؤذِيَ القططَ أبدًا .. لن نُؤذِيَها طوالَ حياتِنا."

وتقولُ "الفئرانُ" إنَّهُ منذ ذلك الزمنِ البعيدِ جدًّا جدًّا، امتنعتِ الفئرانُ عن إصابَةِ القططِ بأيِّ أذًى !



ملابس العبقرية

كَانَ الكاتِبُ الفرنسيُّ الكبيرُ "جان كوكتو"، يحضرُ إحدى الحفلاتِ الرسميةِ، وقد ارتدى الزيَّ الرسميَّ الذى يرتديهِ أعضاءُ الأكاديميةِ الفرنسيةِ، وهى أكبرُ هيئةٍ أدبيةٍ فى فرنسا.

كانَتِ الملابسُ عبارةً عن قبعةٍ لها ثلاثُ زوايا، وسيفٍ يتدلَّى من وسطِهِ.

وبالقربِ من الكاتبِ الكبيرِ، كانَ يجلسُ إلى المائدةِ قائدٌ أمريكىٌّ كبيرٌ، راحَ يتأمَّلُ بدهشةٍ وذهولٍ تلكَ الملابسَ الغريبةَ العجيبةَ. وأخيرًا سألَ الكاتبَ بلهجةٍ عسكريةٍ صارمةٍ:

"هل هذهِ ملابسُ قُوَّاتِ الصاعقةِ ؟!"

فأجابَهُ الكاتبُ الكبيرُ بلهجةٍ عسكريةٍ مماثلةٍ:

"لا .. إنها ملابسُ العبقرية !!"



فَكَّ إحدى السلسلتين

يستخدمُ الهنودُ الأفيالَ، فى نقلِ جذوعِ الأشجارِ الضخمةِ.

وذاتَ مرةٍ، كانَتْ أُنثى فيلٍ تجرُ جذعًا كبيرًا من الخشبِ، وصغيرُها يمشِى إلى جوارِها.

كانَ الجذعُ مربوطًا إلى سلسلتَيْنِ، مثبتتَيْنِ فى طوقٍ حولَ عنقِ أُنثَى الفيلِ.



فلمَّا وصلتْ إلى أحدِ المنحدراتِ، بـدأتْ تصعـدُ فوقَـهُ، وقـد استجمعَتْ كلَّ قوتِها لتجرَّ الجذعَ.

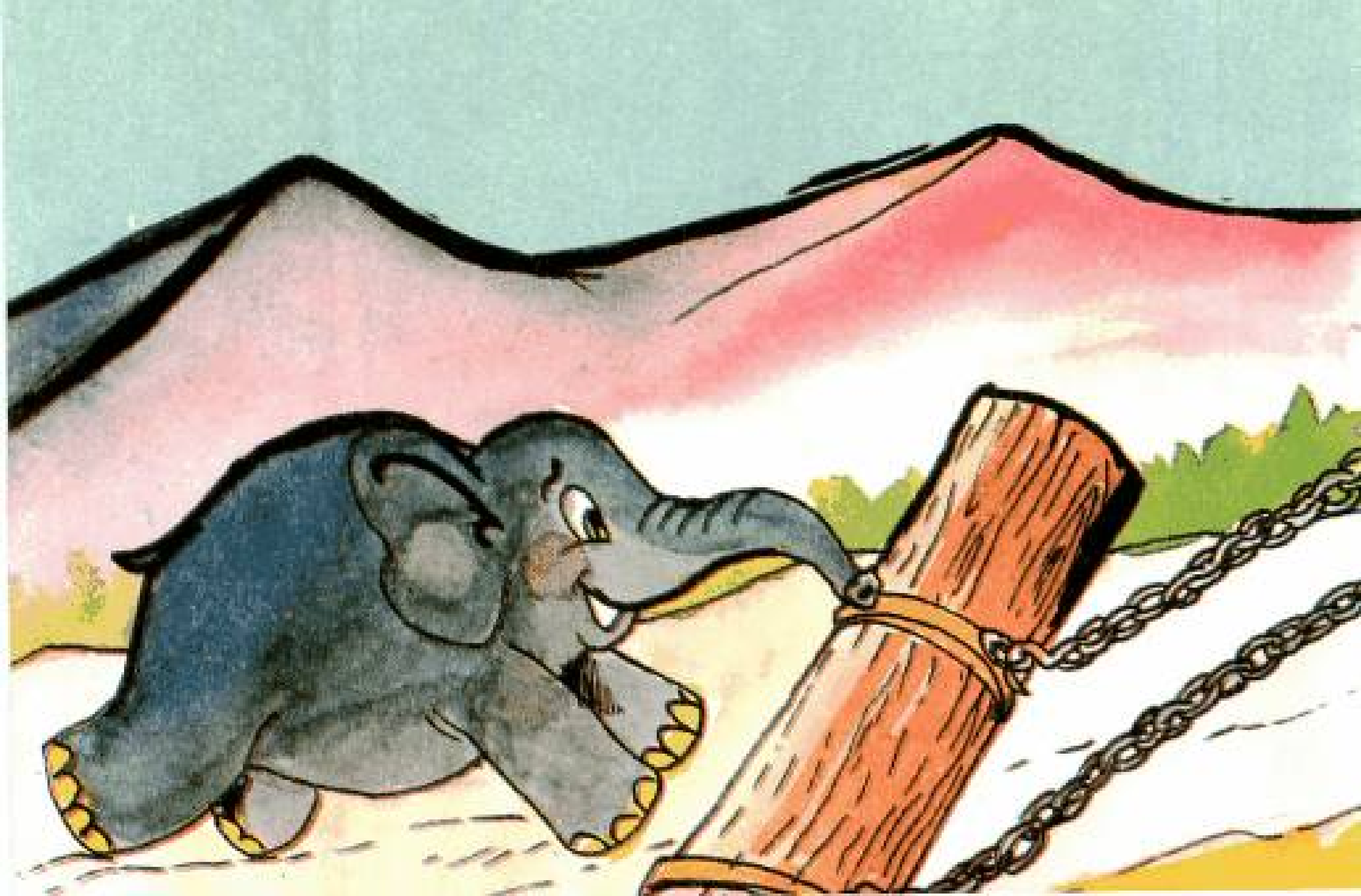
هنا فكَّ صغيرُها إحدَى السلسلتَيْنِ، فوقعَتْ أمُّهُ على وجهِها !!

وفرَّ الصغيرُ مذعورًا إلى غابَةٍ قريبةٍ بأسرعِ ما يستطيعُ.

فلمَّا استطاعَتِ الأمُّ أن تقومَ مـن السقطةِ، انطلقَتْ وراءَ الصغيرِ وقدْ رفعَتْ خرطومَها، حتى لحقَتْ به.

ولم يلبثِ العمالُ أن سمعوا صراخَ الصغيرِ، وقدِ انهالَتْ عليه الأمُّ بخرطومِها، تضربُه مرةً بعدَ مرةٍ ...

وأخـيرًا عـادَ الصغـيرُ يمشِـي وراءَ أمِّـه ذَليـلاً، ممسـكًا ذيلَهـا بخرطومِهِ!!



الزجاج المُحطَّم

ذاتَ يومٍ، رأيْتُ سيارةَ نقلٍ صغيرةً بها عددٌ كبيرٌ من الأواني الزجاجيَّةِ، تخرجُ من فناءِ أحدِ المصانعِ إلى الشارعِ. وفجأةً أقبلَتْ سيارةُ نقلٍ كبيرةٌ، وصدمَتِ السيارةَ الصغيرةَ، فتحطَّمَ ما بها من الأواني الزجاجيَّةِ.

ومن بينِ الناسِ الذين تجمَّعوا حولَ السيارةِ، تقدَّمَ شيخٌ فاضلٌ، وقالَ للسائقِ في عطفٍ: "أظنُّ أنكَ ستدفعُ من جَيْبِكَ الخاصِّ ثمنَ هذا الزجاجِ المُحطَّمِ؟"

فقالَ السائقُ الحزينُ: "نعم .. سأدفعُ ثمنَهُ."

فأخرجَ الشيخُ من جيبِهِ خمسةً وعشرينَ قرشًا، وقالَ: "خُذْ هذِهِ، وأعطِني منديلَكَ أديرُهُ على الناسِ، لعلَّ بعضَ أهلِ الخيرِ يتبرَّعُ بما يُعينُكَ."

فتقدَّمَ عددٌ كبير من الواقفينَ، ووضعَ كلٌّ منهم في المنديلِ ما تبرَّعَ بهِ من مالٍ. ثم استردَّ السائقُ منديلَهُ، وأخذ النقودَ ووضعَها في جيبِهِ. وبدأ الجمعُ يتفرَّقُ.

وعندَما التفتَ السائقُ، رأى الشيخَ الفاضلَ منصرفًا، فقالَ ضاحكًا: "حقًّا .. إنه رجلٌ ماهرٌ ذكيٌّ، فهو صاحبُ الزجاجِ الذي تحطَّمَ !!"



جحا واللاشيء

ذهبَ رجلٌ إلى جحا، يشكو إليه زميلاً لهُ. قال:

"طلبَ منّى هذا الرجلُ أن أساعِدَهُ فى حملِ حزمةٍ من الحطبِ، فسألتُهُ: وماذا سآخذُ أجرًا على هذا ؟ فقال لى: لاشيء. وأنا أريدُ هذا اللاشيءَ."

وكان جحا يجلسُ فوقَ وسادةٍ، فوقف وقال للشاكى:

"ارفعْ هذه الوسادةَ، وقل لى ماذا تجدُ تحتَها."

فرفعَ الشاكى الوسادةَ، ونظرَ تحتَها، ثم قالَ:

"لاشيءَ."

فقال له جحا:

"خُذْ اللاشيءَ الذى تُطالِبُ بهِ من تحتِ الوسادةِ، واذهبْ إلى حالِ سبيلِكَ."

بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها، من الأدب الشعبى، والعربى القديم، والعالمى.

